



الحمد لله ناصر المستضعفين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد القائل: «ما من أمرٍ يخذل امرأً مسلماً في موضع تنتهي فيه حرمته وينقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته» وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فمدينة "الموصل" مدينة إسلامية سنية، تولت عليها الدول دون أن تغير من تركيبتها السنية، وهي أكبر مدينة بالعراق بعد بغداد، ومركز أكبر محافظة سنية فيها اليوم! وإليها يعزى عدد من الأنبياء منهم نبي الله يونس بن متى عليه السلام، وهي مركز محافظة نينوى بلد العبد الصالح كما في خبر عداس الموصلي مولى شيبة بن ربيعة مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو خبر مشهور، وقد أخرجت هذه المدينة للأمة عبر تاريخها علماء كثُر نفعوا الناس بأعمالهم وعلمهم.

"الموصل" اليوم تتعرض لحملة إبادة وتهجير من حشود طائفية صفوية، تعاونهم على ذلك ملأ أخرى عرفت بعدائها المسلمين وكشأن عامة حملات الطغاة على مر التاريخ لابد أن تصحبها حملات تسويغ إعلامية تتذرع بذرائع شتى.. ومهما زخرفوا فمحصل (تبريراتهم)، وخلاصة منطقهم عند العقلاه: أنه بذريعة شرزمة غلاة ينبغي أن تباد أمة، وتبدد قرى!

يذعمون نجدة الناس وهم يقتلونهم ويسردونهم! يغيثونهم ولكن بوابل من النيران والصواريف التي لا تميز بين طفل بريء وامرأة ضعيفة وشيخ كبير وبين غال ضال! بل يريدون من الغلاة أن يتوجهوا صوب أماكن أخرى يجعلونهم فيها ذريعة لإكمال مخططهم في إبادة السنة، وتهجيرهم من مدنهم ومحافظاتهم! كما فعلوا في مناطق كثيرة! وما الفلوحة وبعقوبة عنا بعيد!

فما يحدث الآن لا يؤذن بإرادة خير، وصدق في إصلاح خلل! بل العكس هو الظاهر! يؤيده أن دول السنة إذا تحركت قواتها لضرب متطرفين متغولين على الدول المجاورة والحدود المتاخمة قامت الدعوات إلى وقف النزاع، والتأكيد على ضرورة الحوار وأنه لا حل للأزمة بغير ذلك، ويكثر الحديث عن أضرار الحروب وتتحرك مشاعر الإنسانية والحقوق تجاه الناس لدى الشرق والغرب كل ذلك إذا كان المتغولون المتطرفون المستولون على المدن رافضة كما هو شأن الحوثيين، وتجمد تلك المشاعر وتتجه تجاه المدنيين بل تسترخص دمائهم ما دام الضحايا هم أهل السنة، كما في حلب وعموم الشام وال العراق وفلسطين!

وحيال هذه المستجدات والأحداث فإنني أوجه بهذه الكلمات لل المسلمين عامة، ولأهل السنة خاصة فأقول:

أولاً: إلى متى الخلاف معاشر الإخوة! الأعداء قد اتحدت كلمتهم يقتلون وبهجرون إخواننا يوماً بعد يوم من مناطقهم، ويتوسون في مخططاتهم ونحن نقف أمامهم كالمنفج الذي ينتظر حتفه! متى يعتبر العقلاء! إن واقع الأمة في العراق عجيب، يحير الليب! فعلى رغم ما مر به من محن وآلام لم يتفق أهل السنة وهم يطهرون، ويفتنون بسبب ذلك في كل عام مرات!

وكذلك الشأن في الشام! قرابة خمس سنوات من تكالب الأعداء، الذين اتفقا على اختلاف ملهم وأهدافهم في حرب أهل السنة! بينما أهل السنة لا يتفقون بل يتنازعون مع تعدد الوسطاء والمصلحين، ويقع بينهم من الشقاق ما لا يبشر بخير! بل يؤذن بحلول نعمة وعذاب (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئاً وينديق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلمهم يفهون) [الأنعام: 65]!، فلنعتبر بالأحداث ولننبعض بالأيات، ولنجاب سبيل من قال الله فيه: (أولاً يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) [التوبه: 126] (قل انظروا ماذَا في السماوات والأرض وما تفني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) [يونس: 101]!

إن أهل الحق من هذه الأمة يواجهون حربين: حرباً عقدية تستهدف دينهم وعقيدتهم من خارج الأمة، ومن داخلها، كما قد جرى في مؤتمر الشيشان .. تكالب العدو الخارجي والداخلي على معتقدات الأمة! ومنهجها الصحيح.

وحرب إبادة وتهجير وقتل ودمير، نشاهدها في المدن العراقية، الفلوجة بالأمس، والموصل اليوم، وفي سوريا، ومن قبلهما أفغانستان!

يجب علينا جميعاً حكومات ومحكومين مؤسسات وهيئات أن نتداعى ونتعاضد وأن نقابل المشروع المشترك بمشروع مشترك، وأن نقابل الجهود بجهود أوسع وأشمل وأوعى، وأن نبذ الخلاف والشقاق، فوالله ما طمع العدو بنا إلا بسبب كثرة خلافنا وشقاقنا، وكتاب ربنا يقول: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) [الأنفال: 46].

ثانياً: أخاطب المشاركين في الحكومة العراقية من المنتسبين إلى أهل السنة وأقول لهم: إذا كنتم قد أعطيتم لمشاركتكم في العملية السياسية في ظل الهيمنة الطائفية تبريراً ترون أنه مقبولاً، فإني أدعوكم لتقوى الله عزوجل وخشية بأسه وانتقامه، فأهلكم في الموصل من أهل السنة ينتظرون منكم نصرة لهم، ودفاعاً عنهم، ونجدة للمستضعفين منهم، وليس الوقوف مع عدوهم الطائفي ومساعدته في استباحة ديارهم، واحذروا مغبة إعطاء هذه الحشود الطائفية غطاء سياسياً سنيناً، بل احذروا السكوت على جرائم هذه الحشود الرافضية، احذروا فهؤلاء القوم عما قليل يفرغون لكم، وينقلبون عليكم ولات ساعة مندم، وقد رأيتم صوراً من هذا الانتكاس في مشاهد أخرى مشابهة؛ لأن الله لا يهدي القوم الظالمين، ولا يصلح عمل المفسدين.

ثالثاً: أعلموا - معاشر المسلمين - أن الظلم واسترخاص الدماء وإهار الممتلكات كل ذلك من البغي في الأرض بغير الحق ومن الفساد، (والله لا يحب الفساد) [البقرة: 205]، وعاقبة الظلم والعدوان وخيمة عند كل العقلاء (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم) [يونس: 23] (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) [الشعراء: 227] فالحذر كل الحذر من مشاركة الظالمين بأي نوع من الظلم فتحل علينا عقوبة الله .

رابعاً: إن الله عز وجل حكيم في أقداره لطيف بأوليائه (ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) [البقرة: 253]، (ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم) (4) سيهديهم ويصلح بالهم (5) ويدخلهم الجنة عرفها لهم (6) يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) [محمد]، وصح عنه

صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته ضرارة شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضرارة صبر فكان خيراً له) [خرجه مسلم في صحيحه]. فيجب ألا تزييناً هذه الأحداث إلا قوة إيمان وصبر وحسن ظن بالله: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) [آل عمران: 173].

خامساً: إلى المظلومين المكلومين من أهل السنة في "الموصل" وفي كل مكان، قد قلت الحيلة وضعف الناصر من إخوانكم، وكفى بالله حسيباً، لينتصن المظلوم من الظالم أقسام سبحانه على ذلك فقال: (وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين)، (ذلك ومن عاقب بمثل ما عاقب به ثم بغي عليه لينصرن الله إن الله لغفور غفور) [الحج: 60]، أعراضكم ودماؤكم وأموالكم لن تذهب هدراً ولن تضيع عند الله سدى، ولا بد من يوم ترد فيه الحقوق، وتقاد فيه الدماء، وعلى الباغي تدور الدوائر، فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، طهور ما أصابكم، كفر الله سبئاتكم ورفع درجاتكم وحفظ دينكم وأبدلكم بعد حزنكم فرحاً وبعد ضعفك قوة.

سادساً: خذوا بما استطعتم من أسباب النجاة، ومن أهم ذلك: الاستقامة على الشرع، والتزام الأمر والنهي في حدود الطاقة، ذلك هو الفقه الواجب وتلك هي السنة، ولتألف قلوبكم وتصفووا، ولا يكن الاجتهاد من بعضكم سبباً لتفرقكم وعداوتكم، ول يكن همكم بقاء بلاكم لأنبائها من أهل السنة، وعوده من أخرج منها إلى دياره ورباه.

سابعاً: (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبئع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لغوي عزيز) [40] الذين إن مكانهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور [الحج]، انصروا الله ينصركم، وأربوا عليه يرفع ما بكم، وصيانتنا لأنفسنا ولكم وللمسلمين جميعاً بتجديد التوبة وتعاهدنا، ومن العجائب أنه لم يذكر قوم معينين في القرآن قد أظلموا العذاب وتهدهم ثم أفلع عنهم بتوبتهم إلا أهل بلدكم (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعبناهم إلى حين) [يونس: 98]! فيا إخوة الإسلام (استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متعاماً حسناً إلى أجل مسمى وبيوت كل ذي فضل فضله) [هود: 3]! (وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) [النور: 31].

هذا وعلى المسلمين في العراق وخارج العراق أن يبذلوا ما استطاعوا للتخفيف عن الأبرياء وعن إخوتهم من أهل السنة في "الموصل" وحلب كل حسب وسعة وحسب مركزه، حتى لا يستأصلهم عدو شانىء، يقع هذا الواجب على عاتق الدول السنية، كما يقع ذلك على عاتق جمهور أبناء العراق في القرى والمدن المجاورة، وعلى من استطاع رفدهم ومد يد المعونة لهم من المسلمين في كل مكان، ومن لم يجد إلا الدعاء بأن ينجي الله المستضعفين من المؤمنين وينتصر لهم فلا يستقلنه ولا يستخفن به فشأن الدعاء عظيم، ولا سيما دعاء المضطرب (أمن يجيب المضطرب إذا دعا ويكشف السوء) [النمل: 62]، فيا من لم تجد حيلة توجه إلى ربك فإن الأمر بيده وقل ما روي عن نبيك صلى الله عليه وسلم بعد ما لقي ما لقي من أهل الطائف: (اللهم إلينك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك)، والأثر وإن كان فيه مقال من حيث الصناعة الحديثية إلا أن معانيه جليلة مشرقة، لم ينزل أهل العلم والعباد يلهجون به عند المحن والكروب.

الله أقدر الخير للأمة وارفع البأساء والضراء عنها، وأصلاح من في صلاحه صلاح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم واعف عن تقصيرنا بحق إخواننا المستضعفين، ولا تكلهم إلينا، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأهلك من في هلاكه صلاح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم يا رب العالمين (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (227) [الشعراء].

المسلم

المصادر: